الباب الأول الفلسفة البرجماتية

الفصل الأول وليم جيمز W. James

(١٨٤٢ ــ ١٩١٠)

حياته : ولد وليم جيمز فى نيويورك فى ١١ يناير سنة ١٨٤٢ من أسرة عريقة فى الثقافة والعلم ، إذ كان أبوه هنرى جيمز مفكرا أصيلا تتلمذ على سويدنبرج Swedenberg وفورير Fourier . وقد عمل هنرى جيمز على تثقيف ابنه ، كما اهتم بتزويده بشتى المعارف ، فاستطاع وليم جيمز منذ الصغر أن يزور الكثير من بلدان أوروبا ، كما اختلف إلى الكثير من معاهد إنجلترا وسويسرا وفرنسا وألمانيا . وقد بدأ جيمز حياته الجامعية فى هارفارد فاهتم بدراسة الطب ، ثم انصرف عنه إلى دراسة الطبيعة ، ولم يلبث أن اشتغل بدراسة علم النفس والفلسفة ، تحت تأثير بعض مفكرى جامعة هارفارد . وهكذا نرى أن وليم جيمز قد بدأ فى هارفرد مدرسا لعلم الطبيعة أو الفزياء ، ثم لم يلبث اهتمامه بعلم النفس أن صرفه عن الفِزياء إلى علم النفس الفزيائى فكان له فضل تأسيس أول معمل سيكولوجى فى أمريكا . ثم اتسع اهتمامه بعلم النفس فلم يقتصر على الاشتغال بعلم النفس الفِزيائى ، بل تعداه إلى علم النفس العام . وحينما ظهر فى سنة ١٨٩٠ مؤلفه الضخم عن « مبادئ علم النفس » فى جزأين ذاع صيت وليم جيمز بسبب ما جاء فى مؤلفه من نظريات سيكولوجية هامة ، ولم يلبث علم النفس أن قاده إلى الفلسفة ، فانصرف إلى دراسة الكثير من المشاكل الدينية والميتافيزيقية ، وظهر له فى ذلك إنتاج ضخم نذكر من بينه كتاب « إرادة الاعتقاد » الذى ظهر سنة ١٨٩٧ ، وكتاب « أنحاء من التجربة الدينية » الذى ظهر سنة ١٩٠٢ ، ثم كتابه المشهور فى « الفلسفة العملية » الذى ظهر سنة ١٩٠٧ . وقد طبق جيمز منهجه العلمى على عدة مشاكل فلسفية فظهر له كتاب « معنى الحقيقة » سنة

١٩٠٩ وكتاب « عالم متكثر » فى نفس السنة أيضًا . وقد ظل وليم چيمز أستاذا للفلسفة فى هارفرد نحو ١٣ سنة أو أكثر ، ثم توفى فى سنة ١٩١٠ بعد أن كانت فلسفته العملية قد ذاعت فى أمريكا وأوروبا ، خصوصًا وأنها لقيت (بين مؤيد ومعارض) كثيرًا من الأصداء الهامة حتى خارج موطنها الأصلى .

وقد كان لوليم چيمز اتصالات متعددة بالكثير من الفلاسفة المعاصرين ، فكانت له مراسلات عديدة مع كل من رنوفييه Renouvier وبرجسون Bergson فى فرنسا ، وبرادلى Bradley وبوزانكيت Bosanquet وغيرهما فى إنجلترا وقد نشرت مراسلات وليم چيمز فى مجلدين ضخمين ، نشرهما نجله هنرى چيمز Henry james كما ظهر فى فرنسا كتاب قيم عن « شخصية وليم چيمز » للأستاذ لبرتون (أستاذ الأدب الأمريكى بجامعة باريس) : **M. Le Breton : « La Personnalité de William James . », Paris, Hachette, 1929 .**

الطابع العام لفلسفته :

إذا نظرنا إلى فلسفة وليم چيمز بصفة عامة فإننا نلاحظ أنها عبارة عن فلسفة تجريبية متطرفة تريد أولا وقبل كل شىء أن تعمل على مناهضة سائر النزعات المثالية التى اشتطت فى التفكير المجرد حتى انقطعت صلتها بالواقع : ومن هذه الناحية قد يصح أن نقول إن وليم چيمز يعارض الروح المذهبية التى تريد أن تدخل الكون بأكمله فى « مركب عقلى » معد من ذى قبل ، بغية تفسير شتى الموجودات بالرجوع إلى مبدأ عقلى واحد . نعم إننا قد نستطيع أن ننسب إلى چيمز مذهبا عمليا قوامه فكرة التغير والصيرورة والتعدد ، ولكن الصورة التى قدمها لنا چيمز عن العالم ليست صورة مكتملة تجعل من الكون وحدة تامة يكفى لمعرفتها وفهمها أن نرجع إلى مبدأ مذهبى نطبقه على شتى الموجودات ، بل نحن هنا بإزاء كون متكثر A pluralistic universe لا يكفى فى تفسيره أن نهيب بمبدأ ميتافيزيقى واحد ، ولا سبيل إلى تكوين صورة صحيحة عنه بإقامة مذهب واحد مطلق ندخل فى نطاقه شتى ضروب التجربة وكافة أنواع الموجودات .